
هيئة كتابة التاريخ
سيرة القادة العرب
الاشعث بن قيس الكندي
د. عبد الامير عبد دكسن



وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

الطبعة الاولى ١٩٩٠ ـ بغداد

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة · « آفاق عربية »
رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان ـ بغداد ـ اعظمية
ص·ب· ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

هيئة كتابة التاريخ

الموسوعة التاريخيــة الميسرة من سيرة القــادة العرب الذين اسهمــوا في بنــاء الدولة العربية الاسلامية

الاشعث بن قيس الكندي

بقــلم

الدكتور عبدالأمير عبد دكســن

قســم التاريخ

كليــة التربيــة

جامعــة بغــداد

١٠/٩/١٩٨٨

الطبعة الاولى ١٩٩٠ ـ بغـداد

مقدمـــة

حري بامة العرب المجيـدة أن تدون تاريخ أبطالهـا العظام وتسجل مآثر رجالهـا الأفذاذ • ففي تراثنا العـربي الزاخر ألوان من البطولات النادرة ، والعبقريات الفريدة التي إحتوتها بطون مختلف الكتب وشتى المؤلفات ، تركهـا لنا رجال عاشوا المراحل المختلفة من تأريخ هذه الأمة العظيمة ، وصنعوا أمجادها الخالدة قادة وجنوداً ورجال دولة أكفاء ، فأمثال هؤلاء الرجال سيبقون أبداً قدوة حسنة ، ومنـاراً سـاطعاً للأجيال ، إذ بمثل ما سطروه من بطولات متميـزة ، وما حققوه من انجازات عظيمة ، تستثار الهمـم ، وتصـان حرمة الاوطان •

ومـن هؤلاء الرجال الأبطـال ، والقادة العسـكريين المتميزين بشجاعتهم وفروسيتهم وعطائهم السخي في سـبيل رفعة الأمة العربية وسمو مكانتها ، والذين يعيد لنا تأريخهـم

المجيد ، ومآثرهم الفذة سيرة الأجداد العظام ، الذين أداموا تواصل عطاء الأمة العربية الحضاري ، فاستمر معيناً لاينضب تستقي منه الأجيال دروساً في النضال والبطولة والقيم السامية في العدل والحرية والمساواة ، الأشعث بن قيس الكندي ، ذلك الصحابي ، والقائد العسكري ، ورجل السياسة والادارة ، الذي كان له ولقبيلته « كندة » شأن بارز في تأريخ الدولة العربية عبر مراحل مختلفة من تأريخها المجيد .

نسبه ونشأته الأولى :

هو الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع (الذي سُمي بذلك لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مرتعاً له ولماشيته)(١) ، بن ثور بن عفير (وثور بن عفير هو كندة ، وقد سمي بهذا الأسم لأنه كندَ أباه العمة)(٢) ، بن عدي بن الحارث بن قرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن غريب بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان(٣). أما أمه فهي كبشة بنت يزيد من ولد الحارث بن عمرو(٤) ، وكانت كنيته (أبو محمد)(٥) ، وهو قائد عربي وأحد أشراف العرب وساداتهم ، سليل ملوك كندة الذين كان لهم دور رائد في توحيد القبائل العربية عن طريق المحالفات والمصاهرات،

حيث ساد السلام ، وعمّ الاستقرار في ربوع بلاد العرب فكانت خطوة قبيلة كندة هذه من أولى المحاولات الوحدوية الرامية الى اقامة دولة عربية موحدة ، قبيل ظهور الاسلام .

وقبيلة كندة هذه التي ينتمي اليها الأشعث بن قيس كانت مواطنها الأصلية في بلاد اليمن . فيذكر لنا ابن خلدون أن « بلاد كندة في شرقيّ اليمن ، ومدينة ملكهم دمون»[٦] . ولكن قبيلة كندة ، شأنها شأن بعض القبائل العربية الاخرى، تركت اليمن وهاجرت نحو الشمال بسبب ما أصاب رخاء بلاد العرب الجنوبية من وهن ، وذلك لتحول تجارة العالم آنذاك عن طرق القوافل التي كانت تقطع بلاد العرب ، الى طريق البحر حول تلك البلاد[٧] .

وتكاد تجمع رواياتنا التأريخية العربية على أن منازل قبيلة كندة قبيل ظهور الاسلام كانت في « غمر ذي كندة » ، وهو موضع « وراء وجرة ، بينه وبين مكة مسيرة يومين »[٨] .

لا تتوفر في مصادرنا التأريخية العربية معلومات عن أخبار ملوك كندة الأوائل سوى ما يذكره اليعقوبي عن أسمائهم ، وعدد سنوات حكمهم حيث يقول : « وصارت كندة الى أرض معد فجاورتهم ، ثم ملّكوا رجلاً يقال له مرتع بن معاوية بن ثور فملك عشرين سنة ثم ملكَ ابنه ثور

بن مرتع فلم يُقم إلاّ يسيراً حتى مات ، فملك بعده معاوية بن ثور ، ثم ملك الحارث بن معاوية فكان ملكه أربعين سنة ، ثم ملك وهب بن الحارث عشرين سنة ، ثم ملك بعده حجر .. ثلاثاً وعشرين سنة ، وهو الذي حالف بين كندة وربيعة ، وكان محالفهم بالذنائب »[٩] .

ومع ذلك فالمؤرخون العرب يجمعون على أن حُجراً كان أول ملوكهم ، وأعقبه عمرو المقصور الذي سمي بهذا الاسم لأنه اقتصر على ملك أبيه ، وأعقبه الحارث بن عمرو الذي يعدّ أقوى ملوك كندة وأبرزهم ، فقد دام حكمه أكثر من أربعين عاماً . ولعل من أبرز ما تحقق على يد هذا الملك توسطه بين قبيلتي بكر بن وائل وتغلب ، وعقده الصلح بينهما ، ذلك الصلح الذي انتهت بموجبه حرب البسوس التي دامت بين هاتين القبيلتين مدة أربعين عاماً . كما استطاع الحارث كذلك أن يمدّ نفوذه الى الحيرة ويفرض سيطرته عليها مدة من الزمن ، وكان له دور بارز في الوقوف بوجه الفرس والتصدي لهم ومنعهم من التدخل في شؤون القبائل العربية لبثّ الفرقة والتنافس بينهم من أجل السيطرة عليهم[١٠] . وهكذا فقد كان لأجداد الأشعث بن قيس ، منذ مدة مبكرة ، دور في مقارعة الفرس وصد أطماعهم في بلاد العرب .

وقد ولى الحارث أولاده الأربعة على القبائل العربية التي كان يحكمها بعد أن احتفظ لنفسه بحكم قبيلة كندة . فعيّن حجراً على قبائل أسد وكنانة وغطفان ، وعيّن شرحبيل على قبائل بكر بن وائل وحنظلة والرباب وتميم ، وعيّن سلمة على قبائل تغلب والنمر بن قاسط ، وعيّن معد يكرب على قبائل قيس عيلان ، وبهذا امتد حكمه الى نجد وأطراف الحجاز والبحرين واليمامة[11] . ومن هنا استحقت قبيلة كندة ما أطلق عليها من اسم ، هو «كندة الملوك»[12] . وقد ظهر في هذه القبيلة كذلك أعظم شاعر عربي قبل الاسلام ، وهو الشاعر امرؤ القيس .

في خضم هذا التراث الحضاري الزاخر كان أجداد الأشعث بن قيس قد عاشوا ، فمما لا شك فيه أن يكون لهذا كله أثر واضح في نشأته وتربيته ، حيث ترعرع في أحضانه ، فغرست فيه عظمة المجد العربي ، وشموخ الكرامة العربية ، فنشأ متحلياً بالصفات العربية الأصيلة كالشجاعة والنخوة والكرم ، التي هي حصيلة تجارب العرب ، فاستحق بذلك أن يكون سيداً مطاعاً بين أبناء قومه من كندة وغيرها من القبائل .

لا تذكر مصادرنا التأريخية أية معلومات عن تأريخ ولادة الأشعث مهما كانت ، لكنها مع ذلك تعطي إشارات

واضحة تتعلق بسنة وفاته ، وبعمره آنذاك ، مما يجعل من الممكن تحديد زمن ولادته استناداً الى ذلك • فتكاد تجمع كل المصادر المتوفرة لدينا على أن وفاته كانت في سنة (٤٠هـ/٦٦٠م) ، وان عمره عند وفاته كان ثلاثاً وستين سنة[١٣] ، وانه وفد على رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) سنة (١٠هـ/٦٣١م) • وبناءً على ذلك يمكن القول بأن ولادته كانت قبيل الهجرة النبوية المباركة بثلاثٍ وعشرين سنة •

لقد كان الأشعث بن قيس في المدة التي سبقت اسلامه أحد سادات قومه ومن الشخصيات البارزة بينهم فكان يوصف بكونه أحد ثلاثة رجال من العرب كان لهم « ثلاثة آباء متوالية رؤساء »[١٤] • كما كان أيضاً « صاحب مرباع حضرموت »[١٥] • ومما لا شك فيه ان هذه المكانة المرموقة والسيادة التي احتلها بين أبناء قومه قد زادت كثيراً بعد اعتناقه الاسلام •

اسلامه :

في عام الوفود عندما بدأت القبائل العربية المختلفة تتوافد على النبي الكريم محمد (ص) من شتى أنحاء الجزيرة العربية ، معلنة اسلامها وخضوعها له ، كان الأشعث

بن قيس الكندي ممن وفد على الرسول (ص) في ستين راكباً من قومه كنـدة (وتجعلهم بعض الروايات سـبعين)[١٦] مُـرتَـدِينَ أحسن ما لديهـم من حُلَـل ، ومتزينين بأكمـل زينتهم ، حيث أعلنوا اسـلامهم ، ودخولهم ضمن الدولـة العربية الاسلامية الناشئة التي وضع أسسها الرسول (ص) ، وكان ذلك في سنة (١٠هـ/٦٣١م) ، وكان هو على رأسهم، والمتكلـم باسمهم ، مما يدل دلالة قاطعـة على علو شـأنه ومكانته بينهم[١٧] • ولعل مما يؤكد هذه الحقيقـة هو أن الرسـول (ص) عند رجوع هذا الوفد من كندة الى ديارهم أجاز كل واحد منهم « بعشـرة أواقٍ » وخَصَّ رئيسـم الأشعث « باثنتي عشرة أوقية »[١٨] •

وباسلام الأشعث واجتماعه بالنبي محمد (ص) أصبح في عداد الصحابة الكرام (رض) • وتذكر لنا المصادر المختلفة انه روى عن الرسـول (ص) بضعة أحاديث ، كما روى عنه كل من عامر بن شراحيل الشعبي ، وإبراهيم النخعي وشقيق بن سلمة البلخي وعبدالرحمن المسلّي وغيرهم[١٩] •

وقد تزوج النبي محمد (ص) من أخت الأشـعث بن قيس المسماة « قتيلة » وذلك عند قدوم وفد كنـدة عليـه معلنين قبولهم الاسـلام سنة (١٠هـ/٦٣١م) ــ كما مرّ ــ • ولكن مصادرنا مع ذلك ، تشير الى أن «قتيلة» هذه هي من

زوجات الرسول (ص) اللواتي لم يدخل بهن ، إذ توفي (ص) وهي ما تزال بعد في اليمن في طريقها اليه من حضرموت[٢٠] •

وفي خلافة الخليفة الراشدي الأول أبي بكر الصديق (رض) تزوج الأشعث بن قيس من أخته « أُمُ فروة » بنت أبي قحافة ، فولدت له من الذكور : محمداً وإسماعيل واسحق • ومن الاناث : قريبة وحبابة وجعدة ، وهذه الأخيرة تزوجها الحسن بن علي بن أبي طالب (رض)[٢١] • كماويذكر لنا الدينوري في رواية ينفرد بها أن إحدى بنات الاشعث بن قيس قد تزوجت من أحد أبناء الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان (رض)[٢٢] ، ولكنه مع ذلك لا يسميها أو يسمي زوجها •

ومهما يكن من أمر فان هذه الزيجات والمصاهرات بين الرسول الكريم محمد (ص) والخلفاء الراشدين (رض) من جهة والأشعث بن قيس من جهة أخرى ، كان لها بالتأكيد أثر كبير في زيادة مكانته وإعلاء شأنه ، فقد زادته شرفاً وسيادة بين قومه من كنده بخاصة وبين المسلمين بعامة •

لقد كان الأشعث بن قيس من ذوي الرأي والشجاعة والفروسية والاقدام والثقة بالنفس مما يعكس شخصية عسكرية متكاملة وسمات قيادية واضحة تجلّت بشكل واضح جداً في معارك حروب التحرير العربية وما سبقها من

أحداث[٢٣]، حيث أظهر شجاعة نادرة، ومواقف بطولية عظيمة خلدها الشعراء في قصائدهم . فمما قاله أحد الشعراء:

كشفَ الأشعث عنّا كُربةَ الموتِ عَيانا
بعد ما طارت طلاقاً طيرةٌ مَسّتْ لَهانا
فلهُ المَنُّ علينا وبه دارت رحانا[٢٤]

دوره في حروب التحرير العربية :

لقد شارك الأشعث بن قيس في حروب التحرير فشهد حروب تحرير بلاد الشام من السيطرة البيزنطية، وحروب تحرير العراق من السيطرة الفارسية، حيث أبلى أحسن البلاء في كليهما، وكانت له مواقف مشهودة تجلت فيها النجدة والنخوة والشجاعة وشدة البأس والحمية .

ففي حروب تحرير بلاد الشام شهد الأشعث معركة اليرموك الخالدة حيث أبدى من ضروب الشجاعة والاقدام وشدة البأس ما ميّزه بين أقرانه من المقاتلين . وقد فقد إحدى عينيه في تلك المعركة في سبيل الله وتحرير الارض العربية من السيطرة الاجنبية، وكان ذلك بالنسبة له وللآخرين من رفاقه المقاتلين وسام شرف وعزّ يفخرون به حتى انهم كانوا يعدونه «.. منحة من الله عزّ وجل»[٢٥] .

أما في حروب تحرير العراق فكان له كذلك دوره البارز والمميّز حيث شهد معارك القادسية وجلولاء ونهاوند ، وشارك في تحرير أذربيجان كذلك .

فقد كان ضمن المدد الذي أرسله القائد العربي في جبهة تحرير بلاد الشام ، أبو عبيدة عامر بن الجراح ، بناءً على أمر من الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ، لينضم الى جيش سعد بن أبي وقاص في جبهة تحرير العراق ، فيذكر لنا كل من الطبري وابن الأثير أن سعداً عندما نزل «شَراف» «لحقه بها الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة من أهل اليمن »(٢٦) .

وفي معركة القادسية الحاسمة (١٥هـ/٦٣٦م) التي حررت أرض العراق العربية من السيطرة الفارسية وطهرتها من دنس الفرس المعتدين وقبرت أحلامهم العدوانية وأعلت راية العروبة والاسلام خفاقة ، كما هي الحال اليوم في قادسية صدام المجيدة التي ردّت كيد الفرس العنصريين الى نحورهم فعادوا خائبين مدحورين بقيادة القائد المنصور بالله صدام حسين ، ميّز الأشعث نفسه كذلك بطولة وشجاعة ونخوة(٢٧) .

ففي يوم المعركة الأول وهو يوم « أرماث » قام الأشعث بن قيس في قومه من كندة ــ حين استصرخهم القائد سعد بن أبي وقاص ــ مثيراً فيهم الحماسة والنخوة العربية ، حاثاً إياهم على القتال والمنازلة والتفاني من أجل المبدأ والعقيدة

وتحرير الارض ، فقال : « يا معشر كندة لله درُّ بني أسد أيَّ فَرْيٍ يَفْرون ، وأيَّ هَذٍّ يَهذّون عن قومهم ، منذ اليوم أغنى كل قومٍ ما يليهم ، وأنتم تنتظرون من يكفيكم البأس ، أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم العرب منذ اليوم ، وانهم ليقتلون ويقاتلون ، وأنتم جثاة على الركب تنتظرون ، فوثب اليه عدد منهم عشرة فقالوا ... انك لتؤيسنا جاهداً ونحن أحسن الناس موقفاً ... فها نحن معك ، فَنَهَدَ ونهدوا معه ، فأزالوا الذين بازائهم ... »(٢٨) . وهكذا استنهض الأشعث همم أبناء قومه وشجعهم على القتال عندما دعاهم الى الاقتداء باخوانهم العرب من بني أسد ، فكانوا عند حسن ظنه بهم .

وعندما حمي وطيس المعركة في اليوم الثالث منها ، وهو يوم « عماس » نرى الأشعث بن قيس كذلك يقف خطيباً في قومه مثيراً نخوتهم حاثاً إياهم على القتال والصولة معه على الاعداء ، ساخراً من الموت ، متمنياً الشهادة في سبيل الله من أجل المبادىء والكرامة ورد العدوان وإزالة الظلم، فيقول: « يا معشر العرب : انه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجرأ على الموت ، ولا أسخى أنفساً عن الدنيا ، تنافسوا الازواج والاولاد ، ولا تجزعوا من القتل فانه أماني الكرام، ومنايا الشهداء وترجّل »(٢٩) ، فلا غرابة والحالة هذه ان

وصفَ بكونه واحداً من « أهل النجدات » و « أهل الرأي » و « أهل القوة والعدة » •

وفي ليلة القادسية ، يروي لنا الطبري عن الشعبي ان من شهد هذه الليلة من كندة كانوا سبعمائة عليهم الأشعث بن قيس « وكان بازائهم تُرْك الطبري ، فقال الاشعث: يا قوم ازحفوا لهم ، فزحف لهم في سبعمائة فأزالهم وقتل تُركاً »(٣٠) • فقال راجزهم :

تركنا تُركَهمْ في المصطرة

مختضباً من بَهَرانِ الأبْهَرَة

ويضيف الطبري في رواية أخرى له عن دور الأشعث بن قيس وقومه من كندة في ليلة القادسية فيقول :«وأصبحوا ليلة القادسية ، وهي صبحة ليلة الهرير ، وهي تسمى ليلة القادسية من بين تلك الأيام والناس حَسْرى لم يغمضوا ليلتهم كلها ، فسارع القعقاع في الناس فقال ان الدبرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة واحملوا ، فان النصر مع الصبر ، فآثروا الصبر على الجزع ، فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء ، وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه من الصبح ، ولما رأت ذلك القبائل ، قام فيها رجالٌ ، فقام قيس بن عبد يغوث والأشعث بن قيس وعمرو بن

معد يكرب وابن ذي السهمين الخثعمي وابن ذي البردين الهلالي فقالوا : لا يكونن هؤلاء أجَدّ في أمر الله منكم ، ولا يكونن هؤلاء – لأهل فارس – أجرأ على الموت منكم، ولا أسخى أنفساً عن الدنيا ، تنافسوها ، فحملوا مما يليهم حتى خالطوا الذين بازائهم »(٣١) • وهكذا نراه مرة أخرى يُميّز نفسه كأحد رؤساء الناس وقادتهم ، فيستجيب لنداء القعقاع مستثيراً همة ونخوة أصحابه وأبناء قومه داعياً إياهم الى الصبر والجَدّ في مقارعة العدو ، من أجل أن تبقى راية العروبة والاسلام عالية مُشرعة خفاقة •

ويروي لنا الدينوري كذلك بهذا الصدد فيقول أن سعد بن أبي وقاص بعث الى جرير بن عبدالله البجلي وكان معه لواء بجيلة ، والى الأشعث بن قيس الكندي ومعه لواء كندة ، والى رؤساء القبائل ، أن احملوا على القوم من ناحية الميمنة على القلب ، « فحمل الناس عليهم من كل وجه، وانتقضت تعبية الفرس ، فقُتلَ رستم وولت العجم هاربة »(٣٢) •

ولم يكن دور الأشعث بن قيس في معركة القادسية مقتصراً على الجانب العسكري فحسب ، بل شمل كذلك المفاوضات والعروض السلمية التي قدمها الجيش العربي بناءً على أمر الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب (رض) للفرس قبيل

المعركة ، تلك العـروض التي عبرت عمّا كان يدعـو اليه العرب من مبادىء التوحيد وعدم الشرك بالله ، ومن حريـة وعدل ومسـاواة ، وكذلك عن الهدف الذي يسعون لتحقيقه كما عبّرت عنه رواية الطبري حيث يقول : « الله جـاء بنا لنخرج من شاء من عباده من عبادة العباد الى عبادة اللـه ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عـدل الاسلام »(٣٣) . فقد كانت القيادة المركزية في عاصمة الدولة العربية « المدينة » ترسم الخطط الكفيلـة بتحقيق النصـر ، وتضع أمام القادة الميدانيين الحالة المستقبلية التي تسـتطيع أن تمدهم بأسباب القوة لما قد يسـتجد من ظروف ، وتترك لهم مسألة تنفيذها ، مع متابعتها لذلك التنفيذ أولاً بأول .

ولذلك فعندما جاء أمر الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الى القائـد سـعد بن أبي وقاص في الفرسـ قائلاً : « لا يكربنك ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله ، وتوكل عليه ، وابعث رجـالاً من أهل المناظـرة والـرأي والجلد ، يدعونهم ، فان الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم»(٣٤) جمع سـعد « نفراً عليهم نَجار ولهم آراء ، ونفراً لهم منظر وعليهم مهابة ولهم آراء ، فأما الذين عليهم نَجار ولهم آراء ولهم اجتهاد فالنعمان بن مقرّن وبسر بن أبي رهم وحَمَلة بن جُوَيّة الكناني وحنظلة بن الربيع التميمي وفرات بن حيان

العجلي وعدي بن سهيل والمغيرة بن زرارة بن النباش بن حبيب ، وأما من لهم منظر لأجسامهم وعليهم مهابة ولهم آراء فعطارد بن حاجب والاشعث بن قيس والحارث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معد يكرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة ، فبعثهم دعاةً الى الملك »(٣٥) . وهكذا نرى ان اختيار الاشعث بن قيس لهذه المهمة الخطيرة مع غيره من رجالات العرب البارزين كان لصفات خاصة تميّز بها . ففضلاً عن حسن منظره وصفاته الجسية وهيبته، فانه كان كذلك سديد الرأي وصاحب خبرة وتجربة ، وهذه كلها صفات ضرورية وعلى جانب كبير من الاهمية يجب توفرها فيمن يتم اختياره لمهمة كتلك التي أختير لها الاشعث.

وكان الأشعث بن قيس أيضاً بصحبة القائد هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عندما وجهه سعد بن أبي وقاص بعد معركة جلولاء ، ليتتبع فلول الفرس المهزومة « فسر بالراذانات ، وأتى دقوقا وخانيجار ، فغلب على ما هناك وحرر جميع كورة باجرمى ، ونفذ الى نحو سف بارما وبوازيج الملك الى حد شهرزور »(٣٦) .

وفي معركة نهاوند الفاصلة التي سميت «فتح الفتوح» لأنه « لم يكن للأعاجم بعد ذلك جماعة »(٣٧) ولم تقم لهم بعدها قائمة ، فقد كان من نتائجها أن زالت الدولة الفارسية

المجوسيه من الوجود وبذلك تم استئصال مركز العدوان والتآمر على العروبه والاسلام ، كما يتوضح ذلك من قول الخليفه عمر بن الخطاب (رض) في ان الفرس ليس لهم همٌّ إلاّ الوصول الى المدائن والكوفة « ولئن وصلوا الى ذلك فانها بليّة على الاسلام وثلمة لا تُسدّ أبدا ، وهذا يوم له ما بعده من الايام »[٣٨] • كان للأشعث بن قيس كذلك اسهام فعّال، فقد كان على ميمنة الجيش العربي الذي يقوده النعمان بن مقرّن المزني ، وعندما تحقق النصر الحاسم على الفرس وتبدد شملهم نهائياً ، اجتمع الناس الى الأشعث الذي تولى قيادة الجيش إثر استشهاد النعمان[٣٩] • وكان ذلك بناءً على وصية الأخير استناداً الى توجيه من الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ، حيث كتب الى النعمان : « إن حدث بك حدثٌ فعلى الناس حذيفة بن اليمان فان حدث بحذيفة حدث فعلى الناس جرير بن عبدالله البجلي فان أُصيب فالمغيرة بن شعبة فان أصيب فالأشعث بن قيس »[٤٠] • ولعل في اجتماع الناس الى الأشعث قبل غيره من القادة والرجال البارزين ممن وردت أسماؤهم في وصية الخليفة ، وغيرهم ممن كانوا في ذلك الجيش أمثال عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن الزبير بن العوام ، وعمرو بن معد يكرب[٤١] ، يكشف بصورة جلية ما كان يتحلى به من شجاعة وخبرة عسكرية وقيادة ناجحة مما جعله عند حسن الظن وأهل لما أولي من ثقة •

وكذلك شرك الأشعث بن قيس في تحرير أذربيجان من نير الوثنية والشرك ، وتخليص أهلها من الظلم والاضطهاد . فيروي لنا كل من قدامة بن جعفر والبلاذري أن اذربيجان كانت قد حررت على يد القائد العربي المسلم المغيرة بن شعبة سنة (٢٠هـ/٦٤٠م) ، ولكن أهلها نقضوا عهودهم وغدروا، فسار لهم الأشعث على رأس جيش « ففتح حصن باجروان وصالحهم على صلح المغيرة »(٤٢) ، فأعلى بذلك راية العروبة والاسلام في تلك الربوع ، وثبّت السيادة العربية فيها .

ما تقلده الأشعث بن قيس من أعمال ادارية :

والى جانب كل ما امتاز به الأشعث بن قيس في المجال العسكري كقائد كفء وكجندي شجاع ذي خبرة قتالية جيدة ، وفي المجال الدبلوماسي كمفاوض بارع ذي رأي سديد ونظرة ثاقبة ، فقد أظهر كذلك مقدرة فائقة في مجال الادارة وتصريف الأمور ، ولذلك فلم تكن الاعمال الادارية بعيدة عن متناول يديه . فقد أشارت مصادرنا التأريخية الى أنه تقلد ولاية أذربيجان وأرمينية في زمن خلافة الراشدين عثمان بن عفان (رض) وعلي بن أبي طالب (رض) ، وانه « مصّرها وبنى مسجدها »(٤٣) ، فكان عند حسن ظن أهلها، كما انه نال رضاهما عن ادارته لها طيلة مدة ولايته .

ما وصف به الأشعث بن قيس من الكرم والجود :

لقد اشتهر الأشعث بكرمه وسخائه ، كيف لا ، وهو ذلك الفارس العربي الشجاع ، وسيد قومه وسليل الملوك الأجواد ؟ فقد بلغ من شهرته بالكرم ان ضُرِبَ به المثل. فعندما زوجه الخليفة أبو بكر الصديق (رض) أخته « أم فروة » بنت أبي قحافة ، أصبحَ فدخل سوق الابل في المدينة ، فلم يلقَ ذات أربع مما يؤكل لحمه إلاّ وعقرها، ودفع أثمانها لأصحابها ، مما أثار عجب الناس في المدينة . فقال الأشعث يا أهل المدينة : « ... انّا والله لو كنّا ببلادنا لأولمنا ... فلم يبق دار من دور المدينة إلاّ ودخلها من تلك اللحوم ، ولم يُرَ يومٌ أشبه بيوم الأضحى من ذلك »(٤٤).

ولما تناهى الى علمه دخول رجل من كندة ــ عليه دين ــ الى المسجد ، اغتنم فرصة نوم ذلك الرجل بعد أدائه صلاة الفجر ، فوضع بين يديه « كيساً وحلّة ونعلاً »(٤٥) اسهاماً منه في مساعدته على إيفاء دينه والتخفيف عنه .

صفاته الجسمية :

كان الأشعث بن قيس يوصف بكونه أحد أربعة رجال كانوا معروفين بجمالهم وحسن هيبتهم وهم : المغيرة بن

شعبة ، وجرير بن عبدالله البجلي، وحجر بن عدي الكندي، والأشعث نفسه[٤٦] .

وفاته ومكانته في قومه :

استقر الأشعث بن قيس في الكوفة بعد تمصيرها كأحد ساداتها وأشرافها ورؤسائها البارزين فكانت له رئاسة ربع كندة[٤٧] . وقد قيل فيه أنه كان أحد ثلاثة من العرب كانت لهم « ثلاثة آباء متوالية رؤساء ، ثم إتصل ذلك بكمال الرابع »[٤٨] . كما وصف بأنه : « أول من مُشي بين يديه ومن خلفه بالأعمدة »[٤٩] . وكذلك فقد أشارت اليه الروايات بأنه « أول راكب مشت معه الرجال »[٥٠] .

توفي الأشعث بالكوفة سنة (٤٠هـ/٦٦٠م) ودفن في داره[٥١] .

وهكذا انطوت بوفاته صفحة من صفحات البطولة العربية التي خلدت لنا مآثر الأجداد العظام ، الذين كانوا مشاعل للحرية ورموزاً للخير والعطاء والتقدم ، ومثالاً صادقاً للاصرار العربي على ابقاء السيادة العربية والشموخ العربي متواصلاً ومشعاً على مر العصور .

الدكتور عبدالأمير عبد دكسن
قسم التاريخ/كلية التربية
جامعة بغداد

الحواشي :

(١) الأصبهاني ، الأغاني ، ج٩ ، ص٧٨ .

(٢) ابن الاثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٢٤ .

(٣) خليفة بن خياط ، الطبقات ، ص٧١ ، ١٣٣ ، ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٥١ ، البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٩٦ ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص٤٢٥ ، ابن عبدالبار ، الاستيعاب ، ج١ ، ص١٣٣ ، ابن الاثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٢٤ ، ابن حجر ، الاصابة ، ج١ ، ص٥١ .

(٤) خليفة بن خياط ، الطبقات ، ص٧١ ، ١٣٣ ، البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٩٦ ، ابن عبدالبار ، الاستيعاب ، ج١ ، ص١٣٣ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٢٤

(٥) خليفة بن خياط ، الطبقات ، ص٧١ ، ١٣٣ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١١٠ ، البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٩٦ ، ابن عبدالبار ، الاستيعاب ، ج١ ، ص١٣٣ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٦٤ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٢٤ ، ابن حجر ، الاصابة ، ج١ ، ص٥١ .

(٦) العبر ، ج٢ ، ص٢٧٦ .

(٧) اولندر ، ملوك كندة ، ص٦٦ .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢١١-٢١٢ .

(٩) التاريخ ، ج١ ، ص٢٤٦ ، وما بعدها .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج١ ، ص٣٧٥ .

(١١) اليعقوبي ، التاريخ ، ج١ ، ص٢١٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج١ ، ص٥١٣ .

(١٢) E.I.[1] Kinda

(١٣) خليفة بن خياط ، الطبقات ، ص٧١ ، ١٣٣ ، التاريخ ، ج١ ، ص٧٦ ، البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٩٧ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٧٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٢٠٢ ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٢٦ ، ابن حجر ، الاصابة ، ج١ ، ص٥١ ، التهذيب ، ج١ ، ص١٩٧ .

(١٤) ابن حبيب ، المحبر ، ص٥١ ، الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٥٢ ، الاصبهاني ، الأغاني ، ج١٧ ، ص١٠٦

(١٥) ابن حجر ، الاصابة ، ج١ ، ص٥٢ .

(١٦) ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٦١ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٦٤ .

(١٧) ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٦١ ، البلاذري ، فتوح البلدان ص١١٢-١١٣ ، الطبري، ج٣ ، ص١٣٨-١٣٩ ، البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٩٦ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٦٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٠٣-٢٠٤ ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٢٤-١٢٥ ، ابن حجر ، الاصابة ، ج١ ، ص٥١ .

(١٨) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٦٥ .

(١٩) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٦٤ ، المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣ ، ص٢٨٦-٢٨٧ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص٣٧-٤٣ .

(٢٠) أبو عبيدة ، تسمية أزواج الرسـول وأولاده ، ص٣٩ ، ٤١ ، ابن سعد ، الطبقات ، ج٨ ، ص١٠٥ ، ابن حبيب، المحبر ، ص٩٤-٩٥ ، اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص٧٤ ، الطبري ، ج٣ ، ص١٦٨ ، ابن الأثير ، الكامـل ، ج٢ ، ص٢١١ ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٥٣٢ .

(٢١) ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٥١ ، البلاذري ، فتوح البلدان، ص١١٠ ، اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص٧٤ ، الطبري ، ج٣ ، ص٣٢٩ ، ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج١ ، ص٨٦-٨٧ ، ج٤ ، ص٢٠٥-٢٠٦ ، الثعالبي ، ثمار القلـوب ، ص٨٩ ، ابن حزم ، جمهرة أنسـاب العرب ، ص٤٢٦ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٦٧ ، ٧٤ ، ابـن الاثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٢٤-١٢٥ ، الدياربكري، تاريخ الخميس ، ج٢ ، ص٢٨٩ ، ابن حجر ، الاصابـة ، ج١ ، ص٥١ ، ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص٨٠

(٢٢) الاخبار الطوال ، ص١٣٤ .

(٢٣) خليفة بن خياط ، التاريخ ، ج١ ، ص١٧٥ ، الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٦٨-١٦٩ ، اليعقوبي ، التاريـخ ، ج٢ ، ص١٧٧ ، الطبري ، ج٤ ، ص٥٦٩-٥٧٠ ، ابـن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج٣ ، ص٧-١٠ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٣٧٦ ، ابن عساكر ، تاريـخ دمشق ، ج٣ ، ص٧٢-٧٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٣ ، ص١٤٥

(٢٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٣٧٦ .

(٢٥) ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٦١ ، البلاذري ، فتوح البلدان، ص١١٢-١١٣ ، الدينوري ، الاخبار الطـوال ، ص١٢٥ ، الطبري ، ج٤ ، ص٦٧ ، ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج١ ، ص٢٦٥ ، ابن عسـاكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٦٤ ، ابن الاثير ، أسد الغـابة ، ج١ ، ص١٢٥ ، ابن حجـر ، الاصابة ، ج١ ، ص٥١ .

(٢٦) الطبري ، ج٣ ، ص٤٨٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣١١ .

(٢٧) البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٩٦ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٦٥ ، ٦٩ ، ابن حجر ، الاصابة ، ج١ ، ص٥١ .

(٢٨) الطبري ، ج٣ ، ص٥٣٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٢٦ .

(٢٩) الطبري ، ج٣ ، ص٥٦٠ .

(٣٠) الطبري ، ج٣ ، ص٥٦٣ .

(٣١) الطبري ، ج٣ ، ص٥٦٣ .

(٣٢) الاخبار الطوال ، ص١٢٢ .

(٣٣) الطبري ، ج٣ ، ص٥١٧-٥٢٠ .

(٣٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣١٥ .

(٣٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٧ ، الطبري ، ج٣ ص٤٩٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣١٥ .

(٣٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٦٥ .

(٣٧) أبو يوسف ، الخراج ، ص٣٢ ، خليفة بن خياط ، التاريخ ، ج١ ، ص١٢١ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٠٠ ، ٣٠٢ ، الطبري ، ج٤ ، ص١٤٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٣٢٢ .

(٣٨) ابن اعثم ، الفتوح ، ج٢ ، ص٣٤-٣٥ .

(٣٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٦٥ .

(٤٠) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٠٠-٣٠٢ ، الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٣٥ ، الطبري ، ج٤ ، ص١٢٧ .

(٤١) الخراج وصناعة الكتابة ، ص٣٧٩ ، فتوح البلدان ، ص٣٢٢ .

(٤٢) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص٣٢٩، ٣٨٠، الامامة والسياسة ، ج١ ، ص٩١ ، ٩٢ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٢٤ ، الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٣٤، اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص١٨٩ ، الطبري ، ج٤ ، ص٤٢٢ ، ٥٦١ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٣٧٢ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٧٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٩٥ ، الدياربكري ، تاريخ الخميس ، ج٢ ، ص٢٨٩ .

(٤٣) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص٨٨-٨٩ ، ابن الاثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٢٥ ، الدياربكري ، تاريخ الخميس ، ج٢ ، ص٢٨٩، ابن حجر ، الاصابة ، ج١ ، ص٥١ .

(٤٤) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص٨٨-٨٩ .

(٤٥) ابن حجر ، الاصابة ، ج١ ، ص٥١-٥٢ .

(٤٦) الاصبهاني ، الأغاني ، ج١٤ ، ص١٤٢-١٤٣ .

(٤٧) ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٠٢ ، الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٢٤ ، الطبري ، ج٤ ، ص١٢٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٤ .

(٤٨) الاصبهاني ، الأغاني ، ج١٧ ، ص١٠٦ .

(٤٩) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٧٤ .

(٥٠) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٧٤ .

(٥١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٧٤ .

مصادر ومراجع البحث :

١ ـ أبو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم ، كتاب الخراج ، القاهرة ١٣٨٢هـ .

٢ ـ أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ، تسمية أزواج الرسول وأولاده ، البصرة ١٩٦٩م .

٣ ـ ابن سعد ، محمد بن سعد ، كتاب الطبقات ، ليدن ١٩٠٥م .

٤ ـ ابن خياط ، خليفة ، ١ـ كتاب الطبقات ، بغداد ١٩٦٧م
٢ـ تاريخ خليفة ، بغداد ١٩٦٧م

٥ ـ ابن حبيب ، محمد ، المحبر ، بيروت (بلا تاريخ)

٦ ـ الامامة والسياسة (منسوب لابن قتيبة) ، القاهرة١٩٢٥م

٧ ـ البلاذري ، أحمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، بيروت١٩٧٨م

٨ ـ الدينوري ، أحمد بن داود ، الاخبار الطوال ، القاهرة ١٩٦٠م

٩ ـ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، النجف ١٩٦٤م

١٠ـ الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٩٦٧م

١١ـ ابن جعفر ، قدامة ، الخراج وصناعة الكتابة ، بغداد ، ١٩٨١م

١٢ـ المسعودي ، علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ١٩٦٥م

١٣ـ الكـــوفي ، ابن اعثم ، كتاب الفتوح ، حيدرآباد الدكن ، ١٩٧٢م .

١٤ـ الاصبهاني ، أبو الفرج ، الأغاني ، بيروت ، ١٣٩٠هـ

١٥ـ الثعالبي ، عبدالملك بن محمد ، ثمار القلوب في المضـــاف والمنسوب ، مصر ، ١٩٦٥ .

١٦ـ الخطيب البغدادي ، ابو بكر أحمـد ، تاريخ بغـــداد ، بيروت (بلا تاريخ)

١٧ـ ابن حزم ، علي بن أحمد ، جمهرة أنساب العرب ، مصر ١٩٦٢م .

١٨ـ ابن عبدالبار ، يوسف بن عبدالله ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، حيدرآباد ، ١٣١٨هـ

١٩ـ ابن عساكر، علي بنحسن، تاريخ دمشق ، دمشق.١٣٣٠هـ

٢٠ـ ابن الاثير ، عزالدين ، ١ـ الكامـــل في التاريخ ، بيروت ١٩٧٨م
٢ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، القاهرة ١٩٦٤م

٢١ـ ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، بغداد ١٩٧٥م

٢٢ـ الدياربكري ، تاريخ الخميس في أحـوال انفس نفيس ، بيروت ، ١٢٨٣هـ

٢٣ـ العسقلاني ، ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابـــة ، القاهرة ١٣٢٨هـ

٢٤ـ الزركلي ، خيرالدين ، الاعلام ، ١٣٧٣ـ١٣٧٨هـ

٢٥ـ البغدادي ، عبدالقادر ، خزانة الأدب ولب الباب العرب ، بولاق (بلا تاريخ)

(٢٦) المزي ، صفي الدين احمد بن عبدالله ، تهـذيب الكمال ، (تحقيق الاستاذ الـدكتور بشار عواد معروف) بيروت ١٩٨٣ ·

(٢٧) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد ، سـير أعـلام النبـلاء

٢٨ـ اولندر ، كونار ، ملوك كندة ، بغداد ١٩٧٣ (ترجمة د· عبدالجبـار المطلبي) ·

٢٩ـ E.I.[1], (Al-Ash'ath Ibn Kais) (Kinda).

E.I.[2], (Al-Ash'ath Ibn Kais).

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

الغلاف : رياض عبدالكريم

السعر : نصف دينار



بغداد ــ ١٩٩٠

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة